«المعلم بسة» و«مصطفى بطاطا» يفارق الحياة

لم يكتب له البطولة المطلقة فشكّل امتداداً لنجوم كبار

محمد متولي.. تمنى الحصول على الأوسكار واعترف بأنه ممثل محظوظ

وائل العدس

رحل الممثل المصري النجم محمد متولي مساء السبت الماضي إثر أزمة قلبية مفاجئة أصابته أثناء وجوده في منزله.

نجح في تنويع أدواره بين الظالم والخيّر، صاحب النفوذ والصعلوك، جسد شخصيات توحد المشاهد معها وتسللت إلى قلبه برشاقة الأداء السهل الممتنع وصدق الإحساس ليعيش في أدواره وتعيش فيه.. واستطاع أن يقدم أدواراً مثلت علامات فارقة في تاريخ التليفزيون والسينما.

أبحر الراحل على مدار أكثر من ٤ عقود في بحار الفن، وقدم الكثير من الشخصيات التي كانت ولا تزال تنبض بروح كل مشاهد.

شكّل امتداداً لنجوم كبار، فلم يُكتب له البطولة المطلقة، ودائماً ما كان يظهر في دور «السنيد»، لكنه كان فاكهة الأعمال ومن يمنحونها روحاً تحيلها من خيال إلى واقع.

ورغم حصره في الأدوار الثانية أو الثانوية إلا أنه قدم أدواراً ما زلنا نتذكرها فهو «مصطفى بطاطا» المحامي المليء بالخير والوطنية والإنسانية في مسلسل «أرابيسك»، و«المعلم بسة» في «ليالي الحلمية» بأجزائه الخمسة.

توفي متولي قبل الانتهاء من تصوير مشاهده في أحداث الجزء الثاني من مسلسل «الأب الروحي»، المقرر عرضه خلال الأيام المقبلة على إحدى القنوات الفضائية.

وكانت آخر الأعمال، التي شارك فيها وعرضت مؤخراً، مسلسل «سابع جار»، الذي يعرض حالياً جزؤه الثاني، ولعب فيه دور رب أسرة تنتقل إلى مبنى سكني وتدور أحداث المسلسل حول العلاقات بين جيران هذه الأسرة.

وقدم نقيب المهن التمثيلية أشرف زكي العزاء لأسرة الفنان الراحل، مضيفاً إن متولي كان معهم بالأمس بنقابة الممثلين، قائلاً: «ماكنش تعبان ولا حاجة.. بس دي إرادة ربنا.. وتوفي وهو عنده ٧٢ عاماً».

مسيرة حياة

ولد متولي في ١١ آذار عام ١٩٤٥ في محافظة المنوفية، وانتقل إلى الإسكندرية قبل أن يحط الرحال في القاهرة ويدرس في المدرسة السعيدية ويلتحق بكلية دار العلوم.

تأثر بحب شقيقه «لطفي» و«عبد الجواد» للفن، وحرصهما على مشاهدة المسرحيات بشكل دائم، وصرح في أحد اللقاءات: «نشأت بشوف مسرحيات كوميدي وتراجيدي، وكنت أروح مع أخويا على العجلة لمشاهدة المسرحيات، وأبقى سعيداً إني رايح أتفرج على مسرح».

علاقته كممارس للفن بدأت في المرحلة الإعدادية، فقدم عدداً من الاسكتشات ضمن الفرقة المدرسية، وفي الثانوية العامة فاز بثلاث ميداليات ذهبية، ومع التحاقه بكلية دار العلوم شعر أن طريقه هو الفن، وفي العام الدراسي الثالث له بالكلية قرر الالتحاق بمعهد التمثيل؛ ليستكمل دراسته في المجالين.

بدايته في السينما كانت مع فيلم «خلي بالك من زوزو» من بطولة سعاد حسني وحسين فهمي، حيث قام بدور طالب وعضو في اتحاد الطلبة، يقف جانب «زوزو» ويؤمن بحقها في استمرارها بالتعليم، بعيداً عن مهنة والدتها «الراقصة».

تزوج الراحل من زميلة له في كلية دار العلوم تبعد تماماً عن الوسط الفني وأنجب ابنتين اتجهت واحدة منهما إلى العمل بالوسط الفني مثل والدها وهي سمر محمد متولي التي تخرجت في كلية الفنون الجميلة وبدأت حياتها بالعمل كفنانة تشكيلية واتجهت للتمثيل.

> بدايته في السينما كانت مع فيلم «خلي بالك من زوزو» من بطولة سعاد حسني وحسين فهمي

ومن أشهر أعماله التليفزيونية «ليالي الحلمية» و«أرابيسك» و«زيزينيا» و«مازال النيل يجري» و«المال والبنون» و«بيت الزعفراني» و«خان القناديل» و«الدالي» و«عمارة يعقوبيان» و«ملكة في المنفى».

ومن أعماله السينمائية «سلام يا صاحبي»، «سارق الفرح»، «إشارة مرور»، «ليلة ساخنة»، «نور ونار»، «الشرف»، «مطب صناعي».

ضحكة بناتي

بكت ابنة الفنان الراحل على الهواء، قائلة: «توجهت إلى المستشفى لتوقيع الكشف الطبي على نفسي، وبعد عودتي للمنزل، اكتشفت وفاته».

وأضافت في مداخلة هاتفية لقناة «LTC»: «كلنا هنموت، ولكنه سبقنا، وكان دائماً يقول للناس: أحلى حاجة في حياتي ضحكة بناتي».

وأردفت: «الراحل كان يعاني تضخماً في عضلة القلب والسكر، وتوفي بعد تعرضه لأزمة قلبية أثناء وجوده في الشقة».

آخر ما قيل

آخر ما كتبه الراحل على حسابه الشخصي على مواقع الفيسبوك: «كل شيء وله آخر.. طب ليه ما تكنش البداية خير عشان النهاية تبقى منك في صالح الغير، كل خطوة بنمشيها مكتوبة.. بس الصح والغلط بإيدك أنت يا إنسان.. بحمد ربنا إني لسه إنسان بخاف الحرام جداً وأعشق الحلال».

كذبة وندم

خلال أحد لقاءاته الصحفية القديمة، كشف الراحل عن قصة حدثت معه في بداياته الفنية، فقال: «لأول مرة أرتكب فعلاً أندم عليه وهو أنني كذبت، فبعد التقديم في معهد التمثيل ومكتب التنسيق قدمت في معهد التربية الموسيقية العالي بالزمالك والحقيقة أنني لم أكن أنوي الالتحاق بهذا المعهد ولكن كانت لدي رغبة في أن أختبر أذني وأعرف إذا ما كانت موسيقية أم لا، رغبة صبيانية، وكانت اللجنة التي اختبرتني مكونة من سيدتين هما سكرتيرة ووكيلة المعهد وكانت مدة الاختبار ساعة إلا ربعاً، عصروني، غنيت لهما أغنيتي محمد عبد الوهاب القديمة «عصفور البان» و«يا جارة الوادي» فلاقيت استحساناً كبيراً من ناحيتهما وفي آخر الوقت سألتني وكيلة المعهد: إذا نجحت في هذا الامتحان ووجدت نفسك صالحاً للتحضيرية فهل ستلتحق بالمعهد وتدرس الموسيقا؟! واعلم جيداً أنك إذا لم تلتحق فستحرم غيرك من هذه الفرصة، وهنا أعترف أنني كذبت وقلت لها أنا أحب الغناء وأود لو أتعلم العود، وبالفعل نجحت وفزت بالتحضيرية ولم ألتحق بمعهد الموسيقا ليشاء الله أن يجازيني بأن أرسب في معهد التمثيل، وهذه عدالة السماء».

حظ وأمنية

ويعتبر الراحل نفسه محظوظاً، معترفاً بذلك خلال لقاء صحفي: «أعتبر نفسي محظوظاً لأنني وجدت من يأخذ بيدي في بدايتي.. أذكر القدير حمدي غيث والعملاق محمود مرسي في مسلسلات «أبو العلا البشري» و«أبو العلا ٩٠» و«المحروسة ٨٥».

وأضاف: «من الكلام الجميل الذي سمعته من محمود مرسي أنني كنت عندما أقول أي مزحة من ضمن الحوار المكتوب في المسلسل كان يموت من الضحك رغم أنه ذاكر الحوار وحفظه جيداً، فكان يقول للمخرج محمد فاضل: «مش معقول يا فاضل محمد ده جميل قوي».. فكنت أطير من السعادة وأصمم أن أقدم أحلى تمثيل في حياتي من أجل هذا الرجل الذي يحبني.. أما القدير حمدي غيث فكان يقول لي «أنت هتبقى ممثل كويس».

وعن عمله مع عادل إمام، قال إنه يعتبر دوره في فيلم «سلام يا صاحبي» من أفضل الأدوار التي قدمها، مضيفاً: دور «خوليو» ترك بصمة كبيرة عند المشاهدين لأن الفيلم حقق أعلى نسبة إيرادات في ذلك الوقت».

وعن أمنيته التي لم يستطع تحقيقها، قال: «أحلم أن أحصل على جائزة الأوسكار.. قد يضحك البعض أو يتهكم البعض الآخر.. ولكن أدعو الله أن أحصل على جائزة الأوسكار قبل أن أموت بساعة.. أملي في الله كبير وفي موهبتي».

آخر الكلام

– حصل على جائزة الممثل الأول في جامعة القاهرة ثلاث مرات، الأولى عن مسرحية «ثورة الموتى»، والثانية عن «السلطان»، والثالثة عن «يأكلونها والعة».

– بداية شهرته في الدراما كانت من خلال مسلسل «الشوارع الخلفية»، وكان مرشح للدور نفسه الفنان صلاح منصور، ولكنه توفي قبل تقديمه.

– قدم مع المؤلف أسامة أنور عكاشة أهم أعماله من بينها «الشهد والدموع»، و«أرابيسك»، و«ليالي الحلمية».

– أشهر مقولاته: «مشواري مع الفن ينتهي بنهاية حياتي لأن الفن هو حياتي وينتهي بوفاتي».

– آخر ظهور إعلامي له كان في برنامج «سيلفي مع هيما» على التليفزيون المصري الأسبوع الماضي في حلقة مسجلة.

– آخر أعماله السينمائية كان في ٢٠١٦، حيث قدم دور القاضي في فيلم «الباب يفوت أمل» مع الفنانين شريف سلامة ودرة، وفيلم «أبو شنب» مع ياسمين عبد العزيز حيث قدم دور رجل أعمال.

– قام باكتشاف العديد من النجوم خلال فترة عمله معيداً بالمعهد العالي للفنون المسرحية، حيث قدم الفنان أحمد عبد العزيز، وسامح الصريطي، وشريف منير.

إنغمار بيرغمان... عراب السينما السويدية

في سينماه حلاوة التوت البري وغموض ضوء الشتاء

أحمد محمد السح

ترى النظرة الحديثة للحياة أن الأفعال والآراء المخالفة لآرائنا ما هي إلا انفتاح لأفقٍ جديد نحن بأمسّ الحاجة إليه، وعليه تتزّن مستقبلاتنا الحسية والنفسية مع شعورنا اليومي بحاجة تامة للانطلاق إلى أفق جديد وتظل السينما دائماً أكثر وضوحاً ووعداً بالإشراق. والاكتشاف مع كل فيلم تشاهده، فكما تفتح نوافذ الغرفة في الحر والصقيع لتستمد منه وجهة نظر لما سترتديه اليوم إن لم يكن لذلك أسباب أخرى تتعلق بالتهوية والصحة والنفس، تؤكد السينما أننا بحاجة إلى إغراق أنفسنا بالأفكار الجديدة والمختلفة التي تعصف بنا من كل جانب فهذه الفوضى الفكرية هي التي ستفرز الغث من الثمين وستعزز ثوابتا وتسقط آراء انفعالية اعتقدنا سابقا أنها مبادئ لا يمكن التنازل عنها، ومسلّمات لن تكتمل عملية الشهيق والزفير الخاصة بنا من دونها. هذا العصف الفكري يشتغل عليه الكثير من السينمائيين لكن بعضهم تطغى حالتهم الفكرية على رؤيتهم البصرية على حين تتداخل عند الآخرين.

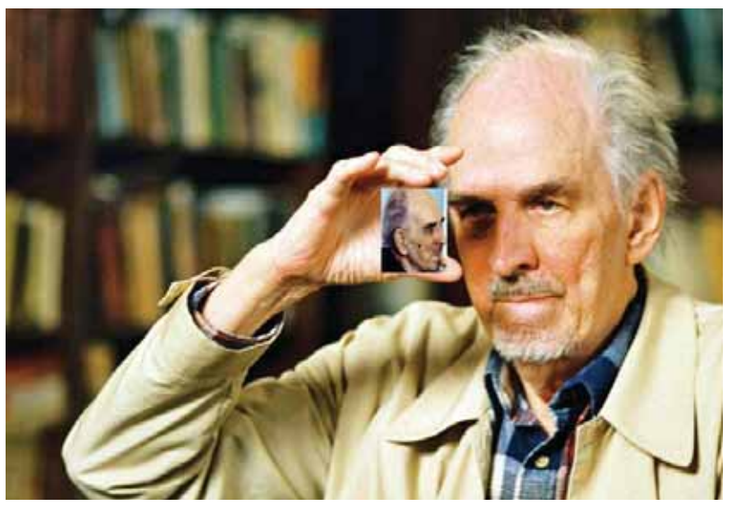

تبدو هذه المقدمة متشابهة مع طريقة تفكير المخرج السويدي إنغمار بيرغمان، الذي غادر هذه الحياة عام ٢٠٠٧ بعد أن عاش قرابة تسعين عاماً قدم خلالها خمسين فيلماً أسس لسينما خاصة منحت السينما السويدية بصمتها، التي طبعت سينما دول شمال أوروبا كاملةً، بما فيها من بطء لحركة الكاميرا، واعتماد التحليل النفسي للشخصيات، لا اعتماد الدراما والفعل الدرامي والأحداث كأساس تستند إليه أفلامه، حين تشاهد فيلماً لإنغمار بيرغمان عليك أن تتجهز لأفلام تعتمد لقطات مقربة إلى وجوه الممثلين، وحواراتهم القليلة والمفاجئة، ليس أمامك سوى أداء ممثلين يأخذون شخصياتهم في أبعادها النفسية، مقتنعين بها متمكّنين على رهافة مخرج كبير استطاع أن يقدم نجوماً وممثلين للعالم كله من أمثال أنغريد بيرغمان وكاترين أدونوف وليف أولمان. هذا الرجل الذي ولد حسب سيرته في بيئة متزمتة كان قد تعرّف على المسرح للمرة الأولى وهو بعد في الخامسة من عمره، عندما شاهد إحدى مسرحيات الكاتب السويدي الكبير سترنبرغ. وفي التاسعة من عمره، صنع بيرغمان لنفسه خشبة مسرح صغيرة يتحكم بنفسه فيها أسفل المنضدة الموجودة في غرفة الألعاب. درس بيرغمان الأدب والرسم في جامعة ستوكهولم، وأثناء دراسته، قام بالإخراج والتمثيل في مسرح الجامعة، ثم التحق عقب تخرّجه بالعمل في مسرح ستوكهولم كمخرج تحت التمرين. وكتب خلال تلك الفترة بعض المسرحيات والروايات والقصص القصيرة، لكنه لم يتمكن قط من إنتاج مسرحياته أو نشر قصصه ورواياته. وتعد الإحاطة بخمسين فيلماً أمراً غاية في الصعوبة لذا ستكون المحاولة للمرور على خمسة أفلام لهذا المخرج اعتبرت من بين أفلامه المهمة.

ففي فيلمه الختم السابع عام ١٩٥٧ توقّف بيرغمان أمام مسألة الموت ولعب معه الشطرنج، دخل في صيغة موازية مع العودة من أفكار الصليبيين وفشلهم التاريخي وإحساس شخصيته أنها عادت في هذه اللعبة التاريخية، ليدخل في عالم السيرك الذي تلعب فيه شخصياته لعبتها الحياتية الهاربة من الموت، الذي يطاردها من خلال الشرط الذي تغلّب فيه البطل على الموت حين تشارطا حول أمرٍ وكسب البطل الرهان، على حين تغرق البلاد في مرض الطاعون.

في فيلمه القناع Persona ١٩٦٦ دخل المخرج وسط جلجلة من التحليل النفسي مع اعتماده على موسيقا ناشزة، إلى حكاية إليزابيت فولجنر (شخصية الفيلم) وهي ممثلة ممتنعة عن الكلام أعيت الطاقم الطبي إلى أن تتولى ممرضة مهمة الاعتناء بها وتدخل في تحدٍ مع الطاقم الطبي لشفائها، لنصل إلى مرحلة من التقابل بين الشخصيتين تكون إحداهما وجهاً للأخرى تكشف كل منهما أسرارها من خلال سلوك رفيقتها ومعطياتها الشخصية والحياتية، فهما متشابهتان ومتناقضتان لديهما السادية نفسها والعشق نفسه، ومن خلال التحليل والعودة إلى الذاكرة تتضح الأسباب الجنسية والعاطفية التي دفعت كل منهما إلى سلوكها الحالي.

في فيلمه التوت البري wild strawberries ١٩٥٧ الفيلم الأكثر شهرة له يدخل بيرغمان في رؤية النسوتالجيا ليفهم آلية تفكير العجائز من خلال شخصية طبيب متقاعد يراد تكريمه، ليدخل هذا العجوز في رحلة ذاكرة بطريقة الخطف خلفاً ليصل إلى تحليل في العلاقات الأسرية التي كانت تعيسة بين والديه وتكررت معه في زواجه، وتتبلور بشكل أعمق من خلال رواية كنّته زوجة ابنه لتعقيد العلاقة مع زوجها ورفض الابن للإنجاب حيث تتفاقم التعاسة مع نقصات الحب الذي حرم منه هو، وتبين من خلال زيارته لوالدته العجوز حيث ترافقه كنّته، ويلتقي مع غرباء يفيد حضورهم سياق الحكاية ويكشف هشاشة ما تخفيه النفس البشرية من عذابات.

فيلم صياح وهمس، Cries and whispers ١٩٧٢ الذي يعد أبسط من غيره من بين أفلام المخرج بالنسبة للمتابع العادي، لكنه يناقش بجرأة وبتفاصيل نفسية تستند إلى مفاهيم فرويدية عن علاقة الرغبة الجنسية وارتباطها بالحرمان العاطفي في الطفولة عبر حكايات ثلاث شقيقات عانين تفرقة عاطفية من خلال والدتهما، وحين تصل إحداهن إلى فراش الموت تسعى إلى كشف تفاصيل الخيانة والغواية التي عاشتها في حياتها وما تشاركنه الأخوات وما أخفينه عن بعضهن.

فيلم ضوء الشتاء winter Light ١٩٦٣ في هذا الفيلم يناقش بيرغمان علاقة الإيمان المضطربة لكاهن مسيحي، ويذكر في حوارات جريئة في وقتها بعض التساؤلات التي تميل إلى الشكوك في بعض القضايا التي تعتبر أساسية في الدين المسيحي، لكن بيرغمان تختلط المشاهد عنده ويرتكز على متانة الحوار كما أنه يعتمد على الإطالة في بعض المشاهد التي يريد طرح قضيته الأساسية من خلالها أو المرور على شخصيات فيلمه أثناءها، كما في مشهد الصلاة الكنسية في هذا الفيلم حيث يستغرق مشهد الصلاة ما يزيد على عشر دقائق لفيلم طوله نحو مئة دقيقة، مستخدماً هذا المشهد للمرور على وجوه الأبطال ورصد سلوكهم أثناء الصلاة وبعدها.

لا تعتبر أفلام بيرغمان أفلاماً عالية الجماهيرية، لا بل تعد من الأفلام التي قد تثير الملل لشريحة كبيرة من الجمهور، ولكنها أفلام تصنف أكاديمية، يعتمد فيها على الطرح الفكري، على الإنسان بشكل أساسي، وعلى سلوكه، وتعبيراته السلوكية وفقاً لتحليلات نفسية أو اجتماعية أو دينية، وقد صبغت سينماه السينما السويدية قليلة الشهرة حتى يومنا هذا، كما أن هذه الصبغة مازالت مسيطرة على معظم السينمائيين الأوروبيين في دول الشمال الأوروبي الباردة.